الأدب الحديث

المحاضرة السابعة

- جماعة الديوان –

ا – جماعة الديوان :

تكونت علاقة صداقة بين عبد الرحمن شكري و ابراهيم عبد القادر المازني و كان هذا الأخير يعتبر شكريا « أستاذا له في فن الشعر و في النظر الى الأدب الحديث[1] » و كان للصحافة فضل في تعرف المازني على عباس محمود العقاد ، و بعد اللقاء ستة 1910 نلم يفترقا بل شاركا في تحرير مجلة البيان سنة 1911 بالإضافة الى نشاطات مختلفة جعلت الأديبين «لا يكاد يذكر أحدهما دون الآخر[2]»

أما تعارف شكري و العقاد فيرجع الفضل فيه الى المازني(توفي سنة 1949) الذي كان في انكلترا و كان يتحدث كثيرا عن شكري و عن اتجاهه الأدبي في رسائله. و لما عاد شكري الى مصر سنة 1913 تم اللقاء بينه و بين العقاد ، و بهذا تشكل عقد «جماعة الديوان».

وكان الثلاثة يجيدون اللغة الانجليزية على ثقافتهم العربية الواحدة ، و على الرغم من عصامية العقاد. هؤلاء الثلاثة اطلعوا على مشاهير الثقافة الانجليزية التي كان لها أثر في الشعور بوحدة الاتجاه في الشعر و النقد.

ا – التجديد في الشعر :

إن وحدة الثقافة ، و اتفاق النظرة الى الأدب ، و الاتجاه الجديد الذي أرادوا أن يمنحوه للأدب ، و الاشتراك في الظروف الإجتماعية و الأدبية ، هي العوامل التي شكلت هذا الاتجاه. أما الظروف التي كانت في المجتمع المصري فتتمثل في:

---

[1] – د. محمد مصايف – جماعة الديوان في النقد . ص 45. نشر البعث قسنطينة الجزائر.

[2] – المرجع نفسهص46.

أن المجتمع المصري كان خاضعا للنظام الإقطاعي.

أن شعراء جيل شوقي كانوا يسخرون مواهبهم لخدمة الطبقة العليا من المجتمع.

عمل أعضاء جماعة الديوان على المحافظة على وحدتهم رغم لحصار الذي كان مفروضا عليهم من طرف هؤلاء الشعراء و المعجبين بهم .

كانت لهم ذاتية معتدلة في الشعر حينا و متطرفة أحيانا أخرى و أعرضت في العموم عن شعر المناسبات الذي كان الموضوع المحبب لشعراء الجيل السابق ، بالإضافة الى الآثار الهامة في النثر ، في ميدان النقد.

1 - الخصومة بين شكري و المازني:

لم تدم تلك الوحدة طويلا ، و حل خلاف بين شكري و المازني ، أما هجوم هذا الأخير الشديد على صديقه القديم شكري في كتاب (الديوان) فيرجعه البعض أولا :-

الى الاتهامات التي قدمها شكريا في ديوانه (الجزء الخامس منه) و هي « أن المازني اقتبس كثيرا من الأدباء القصائد و المقالات لكتاب و شعراء غربيين مشهورين دون أن يشير الى مصادر اقتباسه 3...» ثانيا: أن ثقة شكري بالمازني عظيمة لدرجة أنه اندهش شديد الاندهاش لصنيع المازني، و كان يعتقد أن تنبيهه له علنا لا يفسد علاقتهما بدليل إهدائه الجزء الثالث من ديوانه له . فوقعت القطيعة بينهما ، خاصة و أن المازني ثار على شكري ، فرماه بما تجاوز به الحد المعقول . حاول المازني الدفاع عن نفسه في الجزء الثاني من ديوانه ن ثم يشير الى أن ما صنعه أخذت به جماعة الديوان كلها ، و يؤكد أنه لم يفعل شيئا من هذا الذي اتهم به .

ثالثا : استغل خصوم جماعة الديوان و هم من أسماهم «قتلى المذهب العتيق » فحملوا عليه و أحدثوا ضجة كبرى حول هذا الموضوع.

[3] - المرجع السابق – جمتعة الديوان.ص 49.

لجأ المازني الى اتهام شكري بالجنون محاولا التدليل على ذلك بشعره و بكلامه في كتاب«الاعتراف» و هي التهمة التي كان لها شديد الأثر على نفسية شكري . هذا الأخير لم ينجو من اتهامات المازني ، فقد رماه بالخرس و بجمود الطبع ، و بتقليد السخفاء من القدماء ، و بالتكلف و قلب الحقائق ..4

2 – أثر الخصومة في نفسية شكري:

اعتزل شكري صاحبيه ، و انطوى على نفسه . و لعل من أحسن ما فسر به انطواء شكري ما كتبه العقاد سنه 1958، فهو يذكر لهذا «سببين رئيسيين:

الأول : هو الخيبة التي أطبقت على شكري من كل جانب .

الثاني : هو الدسائس الكثيرة التي حيكت حول شخصه و مذهبه و مهنته 5» . قال العقاد عن السبب الأول « و لكن صدمات الخيبة أطبقت عليه من كل جانب ، فلم يصبر عليها ، و لم يشأ أن يستكين لها ، و لكنه تلقاها بالأنفة و الإعراض ، و أشاح بأنظاره عن الدنيا كما أشاحت بأنظارها عنه ». و قال عن الدسائس في نفس المقال :« و أثقل من ذلك على هذا الحس المرهف أنه ابتلي بالدسائس في الحياة الأدبي...فخاب أمله في أدبه ، كما خاب أمله في عمله ، و لم يكن له – مع هذه الخيبة هنا و هناك – ملاذ هادئ من حياته الوجدانية ، فاستراح آلي اليأس من كل شيء 6».

و على العموم فشكري – على تشاؤمه – و هو ما يظهر من خلال الدواوين الاولى له أو مما كتب « الاعتراف » و « الثمرات » ، فإنه يعترف بأن الأمل ضروري و لعل للثقافة الانجليزية أثر كبير في هذا التشاؤم الذي مني به .

3 – التصالح :

[4] – المرجع السابق – جماعة الديوان.ص55.

[5] – المرجع نفسه. 55

[6] – المرجع نفسه ص56

تلك الخصومة التي دامت ما يقرب من عشرين سنة ، أبى المازني إلا أن يكون هو الأول الى التصالح ، معلنا تراجعه عن الكلام الذي صدم به شكريا ، معترفا له بالفضل في نشأته الأدبية ، فيقول بأنه الصديق الذي أبت له «مروءته أن يتركني ضالا حائرا أنفق العمر سدى ، وأبعثر في العبث ما لعله كامن في نفسي من الاستعداد ».7

ب – الأصول الغربية لثقافة جماعة الديوان:

لعله يتضح مما سبق أن هناك علامات تشير الى الثقافة الغربية لجماعة الديوان إذ أنها تأثرت بالرومانسية الانجليزية « و قد اعترفت جماعة الديوان بهذا التأثر، و عدته فتحا جديدا على الأدب العربي الحديث 8 ». و هاهو العقاد يؤكد أن « هزليت هو إمام مدرستهم (يعني مدرسة جماعة الديوان) كلها في النقد ، لأنه هو الذي هداها الى معاني الشعر و الفنون و أغراض الكتابة9... ».

قضايا كثيرة تأثرت فيها جماعة الديوان بالرومانسية الانجليزية أهمها :

ج – موقف جماعة الديوان من شوقي ، و وجهة نظره في معنى الشعر ، و الخيال الشعري ، و لغة الشعر

ترى أن «الشعر تعبير عن نفس صاحبه ، فكان التعبير كجرد وسيلة لتشخيص هذا المضمون ، و من هنا كان التعبير مجرد وسيلة لتشخيص هذا المضمون10 ».

د – **موقف جماعة الديوان من حافظ و شوقي:**

رأت جماعة الديوان أن في شعر حافظو شوقي التقليد في الموضوعات الشعرية و التحجر في العبارات و القوالب ، ما جعلها لرفضه؛ وقد تنبه الدكتور مُحَمَّد مندور للفارق الفني الذي كان يفصل بين جماعة الديوان و بين جيل شوقي ، فشعراء جيل شوقي و مطران يعبرون عن «الأفكار الجديدة و أحداث العصر» في لغة شعرية تليدة ، أما جماعة

---

[7] - المرجع نفسه .ص 60

[8] – المرجع نفسه .ص70.

[9] – المرجع نفسه.

[10] – المرجع نفسه.ص72.

الديوان فعبروا عن أنفسهم مع لغة ليس فيها أكثر من السلامة و الصحة في القواعد . « و لم يفرقوا في المعجم الشعري بين الكلمات المبتذلة و غير المبتذلة» .

أما تأثر جماعة الديوان بالرومانسية الانجليزية هي المفهوم الذي أعطته كل منها للشعر و هو:

مفهوم الشعر عند جماعة الديوان:

تحدث ورد زورث عن العملية الشعرية فقال : «لقد قلت أن الشعر انسياب تلقائي للمشاعر القوية. 11..» و يؤكد هذا التحليل مبدأين أساسيين في مذهب الرومانسية :-

- أولهما : أن الشعر حقا تعبير عن النفس و مشاعرها .

- ثانيهما: أن هذا التعبير مطبوع لا تكلف فيه.

وهي نفس الرؤية التي يراها شكري تقريبا في قوله« انفعالا عصبيا »يسبق عملية الشعر، و أن الشعر « تدفق الأساليب الشعرية كالسيل » تدل على الطبع في التعبير الشعري الرومانسي و عند جماعة الديوان ، و هكذا تتألف العملية الشعرية من مرحلتين ؛ الأولى ، تثور فيها عواطف الشاعر ، و الثانية ، يتأمل فيها الشاعر عواطفه ،و يضبطها ، و يكوّن منها ما هو أصلح للتعبير الشعري .

فالشعر في نظر جماعة الديوان كما هو في نظر الرومانسيين الانجليز .تعبير عن النفس و مشاعرها .و هذه أبرز قضية في مذهب جماعة الديوان. يقول هازليت «إن أصدق تعريف يمكن أن يعرف به الشعر هو أنه الصورة الطبيعية لأي غرض أو حادثة . فإن قوته تولد الخيال و العاطفة حركة غير إرادية ، و تبعث رخامة في الاصوات المعبر عنها12» ، فالعواطف في نظر جماعة الديوان و الرومانسيين الانجليز، هي المنفذ الوحيد الذي يطل منه الشاعر على العالم الخارجي وشؤونه ، و تعبير شكري عن اتصال عواطف الانسان بالعالم الخارجي أجمل و أعمق من تعبير«

---

[11] - المرجع نفسه. 73

[12] - المرجع نفسه ص 75.

هازليت » ، فهو يشبه قلب الانسان بالاركستر الكثير الآلات و الأنغام ؛ علاوة على أن شكريا يقسم الشعر بين العواطف الخالصة ، و هي العواطف التي هي تعبير عن مظاهر الوجود.

و يدخل في المفهوم الشعري عند جماعة الديوان، لعواطف والطبيعة ؛ فالطبيعة في نظرهم طبيعتان:

ا – طبيعة تحيط بنا و يمكن للشاعر الكبير أن يتصل بها و أن يحول موضوعها بشعره عن طريق الخيال و العواطف.

ب – طبيعة توجد في نفس الشاعر ، و هي قدرته على التوفيق بين حياته الباطنية و بين حياته الخارجية التي هي جزء من الحياة العامة.

* وظيفة الشعر في نظر جماعة الديوان: تحدد الرومانسية للشعر هدفين اثنين:

الاول: توفير المتعة للقارئ عن طريق اشتراكه في المتعة الوجدانية التي يحس بها الشاعر.

الثاني : هو الكشف عن الحقيقة في أعمق صورها و أتمها .

و جماعة الديوان تلح في كثير من أقوالها على هذه الوظيفة للشعر .قال شكري: « إن وظيفة الشاعر في الإبانة عن الصلات التي تربط أعضاء الوجود و مظاهره و الشعر يرجع الى طبيعة التأليف بين الحقائق. 13..» و هنا تتفق جماعة الديوان مع الرومانسية الانجليزية في أن الهدف الاساسي للشعر هو الكشف عن الحقيقة ، و توفير المتعة الفنية للقاريء عن طريق التعبير المناسب عن هذه الحقيقة المكتشفة.

* جماعة الديوان و التراث:

أولت جماعة الديوان للتراث اهتماما كبيرا خاصة في دراستها للشعراء العرب القدامى المشهورين ، فحاولت أن تحدد الصلة بين الأثر و بين نفس صاحبه . و بالنظر الى الدراسات التي خلفتها جماعة الديوان في ابن الرومي ، يتضح لنا أن هذه السمات يرجع بعضها الى المضمون ن و يرجع بعضها الى الشكل و الصناعة .فقد تحدث الثلاثة في شعر ابن الرومي ؛ أما المازني فذكر أن أول ما يلفت النظر في شعر ابن الرومي نوع احاسيسه بالطبيعة و الثاني أن ابن الرومي رغم استغراقه في الطبيعة و مظاهرها ...لا يفقد شعوره بنفسه و بالحياة .

[13] – المرجع نفسه ص 83

اكتشفت جماعة الديوان سمة أساسية في شعر ابن الرومي و هي سمة الاتصال بالطبيعة ، و طريقة هذا الاتصال و وسائله .

و يضيف العقاد الى السمة الأولى سمة ثانية و هي أن ابن الرومي طويل النفس في المعنى شديد التقصي فيه.

و قال شكري في ابن الرومي : « بسط معناه بسطا كما تتسع دائرة الحجر في الماء ، او كما يبسط الخباز الرقاقة14 » يقول ابن الرومي:

ما بين رؤيتها في كفه كرة ** و بين رؤيتها قوراء كالقمر

إلا بمقدار ما تنداح دائرة ** في لجة الماء يرمي فيه بالحجر

و تناول شكري الشاعر ابو تمام بدراسة خاصة ،كما تناول المازني المتنبي و العقاد ، ابونواس .

جماعة الديوان بين القديم و الجديد:

تتمحور الظروف التي ظهرت فيها جماعة الديوان في شيئين اثنين:

1 – ان شكريا و المازني و العقاد كانوا منذ ظهورهم في ميدان الشعر و الأدب يحلمون باحتلال مكانة بارزة في النهضة التي أخذت تزدهر في عهدهم.

2 – صعوبة تحقيق الحلم لسبق جماعة من الشعراء و الأدباء الى احتلال المكانة فقط لكبر سنهم.

و من هنا برزت معركة شديدة بين العقاد و المازني ضد شوقي و حافظ و المنفلوطي ، و كانت وسيلة جيل شوقي و المنفلوطي تعتمد على الثقافة الفرنسية ، و على السلطة الحاكمة ، فقد اعتمد العقاد و صديقاه على الثقافة الانجليزية و على إرادتهم في التحرر، و من حرية تعبيرهم عن نفوسهم و آمالهم و مطامحهم .

ورغم مشاركة الأولين في ثقافة عالمية ، و هي الثقافة الفرنسية ، فإنهم ظلوا محافظين في طريقة التفكير و التعبير.و من هنا جاء هذا الطابع التقليدي الظاهر في القصيدة العربية علىعهد شوقي ،و هذا الدفاع المستميت عن القيم الإسلامية ، و عن الخلافة العثمانية.

[14] – المرجع نفسه ص 129

في حين أن جيل العقاد الذي كانت ثقافته انجليزية ، اتجه نظر شعرائه و نقتده صوب التراث العالمي من فكر و حضارة و أدب يعبُّون منهما بنهم شديد.إذن لم يكن اختلاف الاتجاهين نابعا من اختلاف الثقافتين و إنما كان مصدره الظروف و الإمكانات التي كانت لكل منهما ؛ فشوقي و معاصروه كانوا يعيشون في ظل الخديوي و الخلافة العثمانية .و شكري و المازني و العقاد فضلوا أن يعيشوا أحرارا يعبرون عما يحلو لهم ، ولم يهتم كل منهم بشعر المناسبات.

و لعل أهم ما يعبر عن رأي جماعة الديوان ، رأي شكري الذي لا يقنع بتقسيم الشعر الى قديم و حديث ، كما فعل العقاد ، بل يأبى إلا أن يعتبر حديثهم رجعيا ، لأنه يدعو الى العودة الى طريقة العصور الاولى في الشعر.

فالقديم إذن في نظره هو ما تبع فيه الشاعر المتأخرين من شعراء عصور الانحطاط أو أصحاب الصنعة البديعية في العهد العباسي الأخير، و الحديث هو ما عاد به صاحبه الى طريقة شعراء الجاهلية و صدر الاسلام ، فعبر فيه عن خصائص نفسه و فكره و طرق فيه معاني لم تتحجر على يد المتأخرين.و أما المازني ، فذهب الى إنكار التقسيم من أساسه. أن جماعة الديوان ظهرت بعد ما مهدت لها المدرسة التقليدية ، و أن اتجاهها في الشعر و اتجاه هذه المدرسة يختلفان اختلافا عظيما ، و أبرز مظاهر هذا الاختلاف أن جماعة الديوان تعتبر الشعر صورة صادقة لنفس قائله ، و هذا المبدأ جعلها ترفض كل شعر تشتم منه رائحة الصنعة و المحاكاة و التقليد من جهة ،و بين مدى التجديد الذي اعتبروا كل شعر قيل في الأغراض الشعرية القديمة ليس بشعر عصري و من جهة ثانية ، فهي تريد أن ترى شعرا يعبر عن نفس صاحبه و مشاعره بغض النظر عن الموضوع الذي قيل فيه.

*** موقف جماعة الديوان من الشعر العربي و قضاياه:**

تريد جماعة الديوان من الشعر العربي أن يعبر عن الروح العربية الصحيحة غير المزيفة ، و تريد له أن يكون فنا إنسانيا عالميا ، يتمتع بنفس الشهرة و الخلود اللذين يتمتع بهما الشعر الأجنبي.

*** الصورة الشعرية عند جماعة الديوان:**

اهتم أفراد جماعة الديوان بالإحساس و الشعور في دراستهم الأدبية اهتماما شديدا ، و هذا الاهتمام نابع من مفهوم الشعر عندهم،فالصورة الشعرية في نظرهم إنما تقوم أساسا على هذه الملكات و العواطف الإنسانية نتيجة اتصال الشاعر بالطبيعة؛يتلقى رموزها و صورها ثم يحول هذه الرموز و الصور الى خواطر و رموز مجردة ذاتية ، و في المرحلة الثالثة تتدخل هذه «الملكة الخالقة» التي تعتمد على الشعور الواسع و الدقيق.و بإدراك الشاعر للحدث الرئيسي في مضمون القصيدة و ترتيبه للأحداث الثانوية ترتيبا منطقيا و ضروريا، تتشكل هذه الصورة الشعرية التي لم يتحدث عنها أفراد جماعة الديوان.

و منه فالعناصر الثلاثة ، الإحساس و الخيال و التشبيه يحتاجها الشاعر في عملية التعبير ، يضاف اليها عنصر اللغة التي هي من العناصر الهامة في التعبير التي أولاها أفراد جماعة الديوان عناية خاصة.

*** اللغة و التعبير الشعري عند جماعة الديوان:**

تعتبر جماعة الديوان الألفاظ رموزا للمعاني و المشاعر و الأفكار ، فالألفاظ لا قيمة لها في ذاتها ، و أن قيمتها فيما ترمز اليه من معانٍ.

يرى العقاد أن رمزية الألفاظ هي السبب المباشر في قيام المشاكل بين الأفراد و الأمم .

و يقف المازني موقفا مماثلا من اللغة إذ ير أن قصور اللغة يعوض برموز و صور لما في الصدور.

و عموما فإن موقف جماعة الديوان من اللغة يتلخص في الدعوة الى الحرية في التعبير فقط و المحافظة على سلامة اللغة و صحتها.

*** – الوحدة العضوية :**

يعترف العقاد أن شكريا كان أسبق منه و من المازني في الحديث عن الوحدة العضوية ؛ و من السمات التي يمتاز بها الشعر الذي تتوفر فيه الوحدة العضوية هي:

1 – طول النفس ، وهي السمة الأولى في نظر العقاد.

2 – صلاحية القصيدة الواحدة من هذا الشعر أن يوضع لها اسم ، و أن تقع تحت تحت عنوان ، و لتحقيق ذلك لابد من :

ا – أن تكون لها خصائص معينة تصلح لأن يشار اليها باسم من الأسماء.

ب – ذات موضوع واحد يمكن وضعه تحت عنوان.

و إذن فالوحدة التي دعت اليها جماعة الديوان ، إنما هي وحدة القصيدة في الشعر الغنائي.

الأستاذ فتاني الميلود